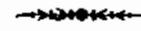


٥ - تفسير الأحلام

للهمة سيمون فروير

سلسلة محاضرات ألفها في فينا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن



الرفابة في الأوهام :

استطنا من خلال دراستنا لأحلام الأطفال أن نصل إلى معرفة شيء عن حقيقة الحلم وكيفية حدوثه وما هي خواصه الرئيسية ووظيفته . فرأينا أن الحلم يعمل كوسيلة لأزالة المؤثرات العقلية التي تخلق النوم . ونحن وإن كنا لم نتكلم بعد من الوصول إلى معرفة شيء عن أحلام البالغين ، اللهم إلا النوع الذي هو من نوع أحلام الطفولة ، إلا أن النتيجة التي وصلنا إليها ليست مما يستهان به ؛ فقد اتفق أننا في كل مرة نتوصل فيها إلى تفسير الحلم تفسيراً واضحاً نجد أنه عبارة عن إشباع لرغبة . وهذا الاتفاق لا يعقل أن يكون عرضياً أو عديم الأهمية . أما الأحلام التي من نوع آخر فقد فرضنا ، اعتماداً على الشبه الذي بينها وبين زلات اللسان ، أنها عبارة عن بديل محرف لمحتوى مجهول لدينا . الخطوة التالية إذن هي أن نجتهد في معرفة شيء عن ماهية هذا التحريف الذي ينشأ في الأحلام .

هذا التحريف هو الذي يخلق على الأحلام هالة من الغرابة تجعلها بعيدة عن مدارك الفهم . وهناك أشياء كثيرة تريد أن نعلمها عنه ؛ أولاً : كيف ينشأ هذا التحريف ؛ وثانياً : ما هي وظيفته ، وثالثاً : كيف يؤدي هذه الوظيفة .

دعوني أرو لكم أولاً حلاً قصته علينا سيدة معروفة في دوائر التحليل النفسي وهي الدكتور فون هج - هلموت Frau Dr Von Hug - Hellmuth وهذا الحلم كما تقول الدكتور أنه امرأة عجوز ولكنها مثقفة ثقافة عالية ولها مكانة محترمة بين الناس وهي لم تتم بتحليله لأنه على حد قولها لا يحتاج إلى أي تحليل بالنسبة إلى المحلل النفسي، كما أن الحالة نفسها

لم تتم تفسيره ولكن طريقتها في نفيه وذمه تدل على أنها قد فهمت مرماه ، فقد قالت : « تصوروا امرأة في الخمسين من عمرها لا هم لها بالليل والنهار إلا رعاية أولادها ، تحمل مثل هذا الحلم القظيغ الذي لا معنى له ! »

والآن دعوني أرو لكم هذا الحلم الذي يدور حول « الخدمة - الغرامية »^(١) في الحرب »

قالت الراوية : رأت السيدة فيما يرى النائم أنها توجهت إلى المستشفى العسكري الأول وأبدت للحارس الذي يقف بالباب رغبتها في مقابلة كبير الأطباء (وقد أعطته اسمًا لا تعرفه) لأنها ترغب في عرض خدماتها على المستشفى . وقد ضنطت السيدة على كلمة « خدمات » بطريقة فهم منها الحارس أنها تقصد بها « الخدمة - الغرامية » ولما كانت المرأة متقدمة في السن فقد أفسح لها الحارس الطريق بمد قليل من التردد ، ولكنها بدلا من المتور على كبير الأطباء وجدت نفسها في حجرة مظلمة تحتوي على عدد من الضباط وأطباء الجيش جلس بعضهم حول مائدة طويلة بينما ظل البعض الآخر واقفاً . وقد توجهت المرأة إلى أحد الأطباء وأفضت إليه باقتراحها ، ففهم الطبيب توا ما تقصد إليه . وقد كانت الكلمات التي استخدمتها في الحلم هي : « اني وكثيرات غيري من نساء وفتيات فينا لعل استعداد في سبيل الجنود والضباط أو الرجال أن ... » وهنا انتهت الجملة بدمدمة غير واضحة . وقد ارتسمت على وجوه الموجودين علامات تجمع بين الخبث والارتباك رأت المرأة منها أنهم فهموا ما ترى إليه فتأملت حديثها قائلة : « اني أعلم أن هذا التصميم من جانبنا يبدو لكم شاذاً غريباً ولسكني جادة كل الجد فيما أقول ، فالجندي لا يسأل في المركة إن كان يرغب في الموت أو الحياة . ثم أعقب ذلك فترة رهيبية من السكون المطبق قطعها أحد الأطباء بقوله لها ، وقد تأبط خصرها بذراعه . « لنفرض يا سيدتي أننا حقاً قبلنا أن ... (دمدمة) » وهنا تخلصت المرأة من ذراعه وهي تتنم « إنهم كلهم - واه » ثم أجابت : « يا للمعجب اني امرأة عجوز وقد لا يحدث لي هذا أبداً ؛ على أن هناك شرطاً يجب أن يراعى وهو

بالألمانية Liebesdienst وهو اصطلاح معروف في ألمانيا مأخوذ عن قولهم « الخدمة العسكرية »

هناك شيء قد فقد أو وقع .

أظن من الواضح جداً أن السبب في قمع هذه العبارات يرجع إلى طبيعتها البشعة . والآن أين نستطيع أن نجد شيئاً مما يحدث هنا ؟ أظنكم في غير حاجة إلى البحث ببعيداً في هذه الأيام (١) ، فأنتم إذا تصفحتم اليوم أى صحيفة سياسية وجدتم أن ههنا وههنا بعض الفقرات قد حذفت من الأصل وظل البياض الناصع للمصحفة يطالكم بدلاً منها . وهذا كما تملون من فعل الرقيب على الصحافة ، فحينما وجدت هذه الفواصل البيضاء فمضى ذلك أن شيئاً ما قد رفع من هذا الموضوع لعدم موافقة الرقابة على نشره . وقد تأسفون على هذا العمل لأنه مما لا شك فيه أن هذا الموضوع كان يحتوى على أهم ما في الجريدة أو على « زبدة » الأخبار كما يقولون ولكن في أحيان أخرى قد يتنبه الكاتب مقدماً إلى العبارات التي من المحتمل أن تتعرض لقلم الرقيب ، فيقطع عليه خط الرجعة بأن يحور في العبارة تحويراً يجعلها لا غبار عليها ، أو قد يكتب بأن يلجح من بعيد إلى ما يريد أن يكتبه فعلاً . وفي هذه الحالات لا توجد مواضع بيضاء خالية من الكتابة وإنما في إمكاننا أن نستنتج من طريقة اللف والدوران التي يستخدمها الكاتب أو من تعبيراته الغامضة أنه كان يكتب وهو يخشى قلم الرقيب .

والآن نستطيع أن نقول بالمثل إن الأحاديث التي حذفت من الحلم والتي جاءت متكررة على شكل دممة كانت هي الأخرى ضخمة لنوع من الرقابة : ونحن في الواقع نستخدم الاصطلاح « رقابة الأحلام » ورجع جزءاً من التحريف إلى فعلها به فحينما توجد فجوات في المحتوى الظاهر فأننا نعرف على الفور أن الرقابة هي المسئولة عن ذلك . بل إننا نذهب إلى أكثر من هذا ؛ فإن رأينا وسط العناصر الواضحة الجلية من الحلم عنصراً غامضاً غير واضح المعالم أو لم تستوعبه الذاكرة جيداً قلنا إن هذا دليل على عمل الرقابة . على أن الرقابة قلما تتخذ هذه الطريقة الواضحة المكشوفة كما هو الحال في الحلم الذي يدور حول « الخدمة النرامية » وإنما تستخدم في أغلب الأحيان الطريقة الثانية التي ذكرتها لكم وهي التحوير في العبارات أو الاكتفاء بالإشارة والتلميح بدلاً من الاقضية والتصريح .

محمد جمال الدين حسن

(يتبع)

(١) الحرب الظلم الأولى

مسألة السن ، بحيث لا يسمح لامرأة بحوز وشاب يافع أن ... (دممة) إن هذا يصبح في غاية الغطاعة . « فزه الطيب رأسه قاتلاً : « انى قام تماماً ما تفصدىن . « غير أن بعض الضباط ضجوا بالضحك فطلبت السيدة أن تؤخذ فوراً إلى كبير الأطباء الذى تعرفه حق المعرفة ، حتى يوضع كل شيء في نصابه . ولكن الدهشة عقدت لسانها عندما اكتشفت أنها لا تعرف اسمه . غير أن الطيب مع ذلك أرشدها إلى الطريق الذى يؤدى إلى الطابق العلوى في أدب جم واحترام متناه وبينما هى تصعد درجات السلم إذ وصل إلى سمعها صوت أحد الضباط يقول : هذا تصميم عظيم بلا شك . وسواء أكانت عجوزاً شـمطاء أم صبوية حسناء فلها الشرف العظيم على أية حال . وههنا ملاحظا شعور بأنها لا تقوم إلا بتأدية أبسط ما يتطلبه منها الواجب ، فأخذت تصعد درجاً لا نهاية له .

وقد تكرر هذا الحلم مرتين في خلال بضعة أسابيع مع تغييرات طفيفة هنا وهناك قالت عنها الحاملة إنها عديمة الأهمية ولا معنى لها إطلاقاً :

وهذا الحلم يشبه في نسله أحلام اليقظة ، غير أن هناك مقاطعة في بعض الواضع . كما أن هناك كثيراً من النقط الغامضة كان من الممكن توضيحها إذا استفهمنا من الحاملة عنها ، ولكن هذه الخطوة لم تتخذ كما تملون . وإنما التريب الذى يلفت النظر في هذا الحلم هو وقوع كثير من الفجوات لا في السرد بل في المحتوى نفسه : فهناك آثار للمحو تبدو في ثلاثة مواضع من المحتوى ، وحينما توجد هذه الفجوات فالمحادثة تقاطع « بدممة » : وبما أننا لم نعلم بتحليل هذا الحلم ، فليس لنا في الحقيقة إذا توخينا الدقة أن نتكهن بشيء عن معناه . غير أن هناك تلميحات معينة مثل « الخدمة - النرامية » يمكننا أن نستخلص منها بعض النتائج . كما أن الحديث الذى ينتزع قبل الدممة مباشرة لا يحتاج لإتمامه إلا إلى نوع واحد من التركيب . فإذا قلنا باتمام هذه الأحاديث فأننا نحصل على رؤيا خيالية مؤداها أن الحاملة ، تلبية لنداء الواجب ، مستعدة لأن تهت نفسها لأشباع الرغبات الجنسية للجند على اختلاف درجاتهم . وهذا شيء فظيع حقاً فهو نموذج للرؤيا الجنسية المكشوفة . ولكن الحلم لا يخبرنا بشيء من هذا ، فحينما احتاج الأمر إلى هذا الاعتراف وجدنا في المحتوى الظاهر دممة غير واضحة ، كما